

# الدور السياسي والعسكري لطرابلس الغرب في البحر المتوسط خلال عهد درغوث رابيس 1556-1565م

أ.د. رضوان شافو(\*)

جامعة الوادي - الجزائر

## المخلص:

بحكم الموقع الجغرافي والاستراتيجي لطرابلس الغرب في حوض البحر المتوسط، وفي ظل تراجع القوة الإسبانية التي بقيت محدودة في مواقع معينة، بسبب القوة البحرية الجزائرية-العثمانية التي استطاعت إفشال كل الحملات الصليبية الإسبانية الملاحقة لمسلمي الأندلس

---

(\*) Email: chafouedhouane@gmail.com

المجلة الجامعة - العدد الثاني والعشرون - المجلد الرابع - ديسمبر - 2020م  
مجلد خاص بالمؤتمر الدولي الافتراضي الأول للدراسات التاريخية الليبية بجامعة الزاوية

347

الدور السياسي والعسكري لطرابلس الغرب في البحر المتوسط خلال عهد درغوٲ رايس

الفارين الى شمال إفريقيا، ونتيجة لهذا العامل استطاعت الدولة العثمانية تحرير طرابلس الغرب من الإسبان سنة 1551م.

ومنذ ذلك الحين بدأت طرابلس الغرب تؤدي دورا سياسيا وعسكريا في حوض البحر المتوسط، وذلك بمشاركتها في المشروع الإسلامي العثماني ضد المسيحية الصليبية، وخاصة في عهد درغوٲ رايس الذي كانت له بصمته في تحرير طرابلس الغرب من فرسان القديس يوحنا، حيث ذاع صيته العسكري من خلال حملاته على العديد من السواحل الاسبانية والاطيالية، وقد استطاع درغوٲ رايس خلال حكمة لطرابلس الغرب (1556-1565م) أن يسترجع المكانة السياسية والعسكرية والاقتصادية لها، والوقوف أمام عدة حملات اسبانية لاسترداد المدينة، وذلك من خلال جعلها قاعدة عسكرية استراتيجية للعثمانيين من أجل تحرير كل موانئ بلاد المغرب العربي، زيادة على ذلك استطاعت طرابلس الغرب في عهد درغوٲ رايس أن تدخل في تحالفات سياسية أوربية ضد الإسبان باسم الدولة العثمانية في البحر المتوسط، وأن توسع سيطرة العثمانيين لتشمل كل السواحل الطرابلسية وصولاً إلى المدن التونسية الشرقية والجنوبية، وعلى هذا الأساس حاولت الدول الأوروبية المسيحية أن تنتاسي خلافاتها وتحالف فيما بينها للقضاء على طرابلس الغرب التي تهدد وجودها بالبحر المتوسط.

#### إشكالية الدراسة:

مما سبق ذكره سنحاول في هذه الورقة العلمية الإجابة على التساؤلات الآتية: فيما تكمن الأهمية الاستراتيجية لطرابلس الغرب بالنسبة للعثمانيين، وماهي أبرز مظاهر الأدوار السياسية والعسكرية في المشاريع العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط؟ وبقراءة أخرى مغايرة، ماذا لو لم يكن درغوٲ رايس واليا على طرابلس الغرب، هل ستعرف طرابلس الغرب نفس المكانة السياسية والعسكرية التي عرفتها في عهده؟

## أهداف الدراسة:

- إبراز الأهمية السياسية والعسكرية لطرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط.
- التعريف بإنجازات وانتصارات درغوث ريس لما كان واليا على طرابلس الغرب.
- إبراز العلاقة بين إيالة طرابلس الغرب والسلطة العثمانية في عهد درغوث ريس.
- إبراز العلاقة بين طرابلس الغرب والدول الأوروبية في عهد درغوث ريس.

## أولا/ الأهمية الاستراتيجية لطرابلس الغرب بالنسبة للعثمانيين:

كل الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة تجمع على أن التواجد العثماني في المغرب العربي كان في إطار تحقيق المشروع العثماني الإسلامي ضد التواجد الصليبي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وخاصة بعد سقوط الأندلس وفرار المسلمين الى سواحل المغرب العربي منذ سنة 1492م، هذه الأخيرة التي تعرضت سواحلها لمختلف التحرشات الاسبانية والبرتغالية بدواعي ملاحقة المسلمين الفارين، غير أن العثمانيين ويهدف تحقيق مشروعهم الإسلامي استجابوا لنداءات الاستغاثة من مسلمي المغرب العربي وفي مقدمتهم الجزائريين الذين راسلوا السلطان سليم الأول ما بين 26 أكتوبر، و3 نوفمبر 1519م<sup>(1)</sup>، وبعدها سكان تاجوراء النازحين من طرابلس الغرب<sup>(2)</sup>، من أجل طرد الغزاة الصليبيين المحتلين، وقد استطاع العثمانيون تحرير العديد من سواحل بلدان المغرب العربي بقيادة كلاً من الأخوين خيرالدين وعروج بربروسا خلال القرن السادس عشر الميلادي، وهذا التحرير دعم النفوذ العثماني في حوض البحر الأبيض المتوسط شرقاً وغرباً.

وإذا خصصنا الحديث عن الاهتمام العثماني بطرابلس الغرب والذي جاء متأخراً نوعاً ما، بالمقارنة مع تواجده في حوض البحر الأبيض المتوسط، فهناك عوامل لهذا الاهتمام يمكن حصرها فيما يلي:

1- أهمية الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب بالنسبة للمسلمين، بحيث يعتبر موقها معبرا للقوافل الحجيج من شمال غرب افريقيا وغربها إلى الأراضي الحجازية، هذا بالإضافة إلى اتصالاتها الثقافية والعلمية مع مختلف الحواضر العلمية في القارة الإفريقية، ناهيك على أنها منطقة استراتيجية للطرق التجارية والقوافل الصحراوية الوافدة من بلاد السودان والمحملة بالذهب والتوابل والعبيد<sup>(3)</sup>، علاوة على ذلك فمدينة طرابلس الغرب على خلاف المدن اللبية الأخرى، كانت مدينة هادئة وعامرة بيوتها جملة وميادينها منتظمة، وتكثر في أسواقها المصنوعات خاصة النسيج، ومدارسها ومساجدها متعددة، كما توجد بها الملاجئ والمستشفيات<sup>(4)</sup>، فكل هذه الخصائص التي تتميز بها طرابلس الغرب جعلها محل أنظار واهتمام كبيرين من طرف العثمانيين.

2- الحفاظ على قلعة من قلاع الإسلام في حوض البحر الأبيض المتوسط، في إطار الصراع الحضاري بين المسلمين والمسيحيين، وهذا بعد نداء الاستغاثة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني من طرف سكان تاجوراء، من أجل تحرير مدينة طرابلس الغرب من احتلال فرسان القديس يوحنا، وفي الحقيقة ليس هناك من قوة إسلامية آنذاك تقف في وجه الاسبان الصليبيين سوى الدولة العثمانية حامية الخلافة الإسلامية، وعلى هذا الأساس كان من الواجب الأخلاقي والديني الاستجابة السريعة لهذا النداء، بهدف تطهير البلدان الإسلامية من المسيحية الصليبية، ولذلك قام السلطان سليمان القانوني بتولية مراد آغا على سكان تاجوراء سنة 1537م، حيث استطاع ان يثبت أمام مختلف الحملات الاسبانية ضد مدينة تاجوراء.<sup>(5)</sup>

3- إعادة بعث المكانة العسكرية لطرابلس الغرب بعدما فشلت في التصدي للحملة الاسبانية عليها سنة 1510م، لكونها أهملت الجانب العسكري في أجنده تسيير المدينة، بعدما غاص أهلها في البذخ والتجارة وريح الأموال، حتى أصبحوا مثالا للسخرية والضحك من طرف

الجواسيس التجار الإسبان، وهذا ما يؤكد محمد بن خليل غلبون الطرابلسي قائلاً: ".وسبب أخذهم لها أن أهلها بعد دخولهم في طاعة الموحدين، كثرت أموالهم وتجاريتهم، واطمأنوا، ولم يشتغلوا بالحرب، حتى لم تكن لهم به خبرة، فقدمت عدة سفن للعدو موسوقة بأنواع البضاعة، وفيها من كل نوع كثير، فقدم إليهم تاجر من تجار المدينة، فاشتري جميع ما فيها من سلع، ونقد لهم ثمنها، واستضافهم رجل آخر وصنع لهم طعاماً فاخراً، وأخرج ياقوتة ثمينة فدقها دقا ناعماً بمرأى منهم، وذرها على طعامهم فبهتوا من ذلك، فلما فرغوا قدم لهم دلاء، فطلبوا سكيناً لقطعها، فلم يوجد في داره سكين، وكذا دار جاره إلى أن خرجوا إلى السوق، فأتوا منه بسكين، فلما رجعوا إلى جنوة سألهم ملكهم عن حالها، فقالوا: ما رأينا أكثر من أهلها مالا، وأقل سلاحاً، وأعجز أهلاً عن دفاع عدو، فتأقت نفسه لأخذها، وجهز لها أسطولا، فأخذها في ليلة واحدة بلا كثير مشقة، واستولى عليها...".<sup>(6)</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن العثمانيين بعدما حرروا طرابلس الغرب، نجحوا في استرجاع المكانة العسكرية البحرية لطرابلس الغرب، إلى درجة أن التجار الأوروبيين عندما يغادرون موانئهم في البحر الأبيض المتوسط، يودعون بالدعاء الذي يقول "حفظكم الله من سفن طرابلس"<sup>(7)</sup>، حيث يؤكد جون رايت هذه الحقيقة قائلاً: "في عهد محمد الساقلي عاد البحارة الطرابلسيون يهاجمون ويأسرون السفن الإيطالية وكذلك الهولندية والانجليزية، التي بدأت تظهر في البحر المتوسط، وقد استولوا على كورسيكا، وقطعوا مواصلات البندقية مع كريت، ونشروا الرعب في سواحل صقلية وإيطاليا".<sup>(8)</sup>

ويبدو أن إهمال الطرابلسيين للجانب العسكري في تحصين المدينة، سببه الهدوء والسلم والاستقرار الذي عرفته المدينة قبل الغزو الإسباني، حيث استناب العيش والاطمئنان للأهالي دون أخذ أية حيطة أو حذر من تكالب أو غدر صليبي في أية لحظة، مع العلم أن منطقة

سواحل المغرب العربي كانت تشهد حروباً بين العثمانيين المسلمين والإسبان المسيحيين، وهذا ما حدث فعلاً، حيث انقضت الإسبان على طرابلس الغرب في لحظة غفلة، وهو ما يذكره أحمد بك النائب الانصاري الطرابلسي في قوله: ".فبينما أهل طرابلس في أرغد عيش وأهناه، قد استأثروا مهاد الدعة، واستطابوا خفض العيش، وطال نومهم في ظل الغرف والسلم، فاستوت الحامية والرعية، وتشابه الجندي والحضري،.." <sup>(9)</sup>، هذا دون أن ننسى بعدم وجود سلطة سياسية فعلية مستقرة بطرابلس الغرب، لكونها كانت تابعة اسمياً للحفصيين، الذين كانوا يعيشون اللحظات الأخيرة من انهيارهم سياسياً، فأحياناً يكونون تابعين، وأحياناً أخرى يكونون متمردين.

#### 4- محاولة استرجاع الأهمية التجارية لميناء طرابلس الغرب، بعدما فقد هيئته نتيجة

التغييرات التي استحدثتها الإسبان في المدينة والضرائب الباهظة التي كانت تفرض على السفن التجارية التي تقصد طرابلس الغرب لاسيما السفن القادمة من البندقية، وبناءً على هذه الضرائب غيّرت البندقية وجهة سفنها نحو ميناء مصراتة <sup>(10)</sup>، زيادة على ذلك أدخلوا تعديلات على الميناء، وحولوا العديد من المعالم العمرانية إلى معالم قاعدة عسكرية لمختلف حملاتهم وعملياتهم العسكرية في سواحل المغرب العربي <sup>(11)</sup>، فميناء طرابلس في نظر العثمانيين كان يمثل معبراً للتجارة والتبادل الاقتصادي العالمي بين صفتي البحر المتوسط، وحلقة وصل بين مختلف شعوب العالم، ولعل هذه المكانة الاستراتيجية لميناء طرابلس جعلها عرضة للعديد من التخرشات الأوروبية منذ القرن الرابع عشر الميلادي حيث قامت جمهورية جنوة بالهجوم على طرابلس الغرب سنة 1354م، طمعا من الجنوبيين في السيطرة على تجارة إفريقيا والتي كان يستأثر بجزء كبير منها في هذا الميناء الهام <sup>(12)</sup>، وعلى هذا الأساس كان لزاماً على العثمانيين تحرير طرابلس الغرب من الإسبان واحتوائها تحت نفوذهم، حتى يتمكنون من تحقيق تطلعاتهم الاقتصادية والمالية في حوض البحر الأبيض المتوسط، فعلى حد قول المستشرق بروديل فرنان " المتحكم

في البحر دوما هو المتحكم في الثروة"<sup>(13)</sup>، هذا بالإضافة إلى جعلها قاعدة عسكرية لهم من أجل حماية السفن التجارية للمسلمين من القرصنة الأوروبية، أو لتحرير المدن الساحلية لبلدان المغرب العربي، وهو ما حدث فعلا بعدما تحررت طرابلس الغرب من الإسبان، وهو ذات القول يؤكدده الدكتور حسين مسعود أبو مدينة في قوله: "أصبح ميناء طرابلس في فترة قصيرة قاعدة هامة من قواعد البحرية العثمانية في البحر المتوسط، حيث انطلقت منه حملات الجهاد البحري سواء لاسترداد بعض المواقع المحتلة من التراب التونسي، أو في الإغارة على الدول الأوروبية المعادية للدولة العثمانية"<sup>(14)</sup>.

### ثانيا/ مظاهر الأدوار السياسية والعسكرية في المشاريع العثمانية بالبحر الابيض المتوسط:

1- تحرير طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني: بعد الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس الغرب سنة 1510م، التجأ العديد من الطرابلسيين نحو مدينة تاجوراء شرق طرابلس الغرب، والتي اتخذوها كقاعدة عسكرية لهم للقيام بهجمات على الإسبان بغية استرداد المدينة من احتلالهم، غير أن معظم محاولتهم باءت بالفشل، وحينها ما كان عليهم إلا الاستنجاد بالعثمانيين القوة الحامية للخلافة الإسلامية آنذاك من أجل تحرير طرابلس الغرب من بطش الإسبان، وفي هذا السياق يذكر احمد بك النائب الانصاري قائلا: "لما تقام الخطب على أهل طرابلس واستفحل أمر ما نزل بهم من فتنة الاسبانيول ومغالبتهم على حاميتها، وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف، أنتدب جماعة من أهلها سكنة تاجوراء، ووفد وفدهم إلى دار السعادة العلية مستنجدين بالخلافة الإسلامية..."<sup>(15)</sup>، وقد استجاب السلطان العثماني للطلب وارسل قوة عسكرية بحرية بقيادة مراد آغا من أجل تحرير طرابلس، حيث حاول العديد المرات تحرير المدينة من فرسان القديس يوحنا، إلا أنه عجز عن ذلك، مما دفع بالسلطان العثماني سليمان القانوني إلى إرسال حملة عسكرية كبيرة مكونة من مائة وعشرين سفينة بقيادة سنان باشا ومساعدته درغووث

رايس، خاصة بعد سقوط مدينة المهديّة التونسية في يد الإسبان<sup>(16)</sup>، حيث وصلت الحملة العثمانية الى طرابلس الغرب في 4 اوت 1551م، وتمت محاصرة المدينة لمدة عشرة أيام براً وبحراً، إلى أن استسلم فرسان القديس يوحنا يوم 14 أوت (أغسطس) 1551م، وتم تحرير طرابلس الغرب من سيطرة الإسبان، وبعد يومين من ذلك قام سنان باشا باحتفال كبير نتيجة تحقيق الانتصار على الإسبان في تحريرهم للمدينة، وفي 18 أوت من نفس السنة، تم إجلاء من تبقى من حامية فرسان القديس يوحنا الى جزيرة مالطة على سفن فرنسية، وتم قتل كل العرب الذين ساندوا الإسبان باعتبارهم خونة<sup>(17)</sup>، بعدها تم تعيين مراد آغا واليا على طرابلس الغرب، والذي أولى لها اهتماما كبيرا في المجال الإداري والعسكري والاقتصادي، ففرض الأمن والاستقرار الداخلي، واسترد المكانة التجارية لميناء طرابلس الغرب، وقام بتحسين المدينة ضد الأخطار الخارجية إلى غاية 1555م، حين تم تولية درغوث ريس واليا على طرابلس بعد الانتصارات التي حققها في جزيرة كورسيكا.<sup>(18)</sup>

## 2- دور طرابلس الغرب العسكري في تعزيز النفوذ العثماني بالبحر المتوسط: إن

الدور العسكري لطرابلس الغرب قد ارتبط بشخصية درغوث ريس، الذي كان يخشاه الأوروبيون، نتيجةً لانتصاراته العسكرية في أوروبا، حتى أصبح يلقب "بالشيطان"، حتى ولو أن مراد آغا أول والي طرابلس الغرب حاول أن يسترد المكانة العسكرية لها في البحر المتوسط، إلا أنه أكتف فقط بالدفاع عن المدينة والثبات أمام الهجومات الإسبانية خلال محاولتهم استرجاع المدينة الى حضان المسيحية، على خلاف درغوث ريس الذي كان له الفضل في جعل طرابلس الغرب تهابها كل الدول الأوروبية في عرض البحر الأبيض المتوسط، وتحاول كسب ودّها من خلال بناء علاقات صداقة معها، وقد تجلّى ذلك من خلال نقلها من موقع الدفاع عن المدينة إلى القيام بحملات عسكرية ضد الإسبان من أجل تحرير بعض المدن الساحلية بالمغرب العربي وضمها



إلى طرابلس الغرب باسم الدولة العثمانية، إذ يذكر صاحب "كتاب المنهل" قائلاً: "تولى زمام الأمر فيها، فعمر البلاد، ولم شعثها، ووضع الاستحكامات، وجعل الثغر في غاية المكانة والقوة، وبسط العدل، وأمن البلاد، وتشبث بالأسفار في أساطيله، وبث السرايا على الاعداء...".<sup>(19)</sup>

في الحقيقة لا نعلم سر الحب الذي يكنه درغوث ريس لطرابلس الغرب، إلا أن رغبته القوية في حكمها، وتأثره بحكم خيرالدين بربروسا في الجزائر، هو الذي جعله يسعى لحكم المدينة بهدف استعادة مكانتها العسكرية، وتعزيز نفوذ العثمانيين في البحر الأبيض المتوسط، انطلاقاً من مقترحاته الأولى على السلطان سليمان القانوني لتحرير طرابلس الغرب سنة 1551م، وإلى غاية المشاركة في العديد من معارك الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط والعودة بالغنائم والأسرى المسيحيين إلى اسطنبول، إذ ساهم في توسيع سلطة العثمانيين على المدن الشرقية والجنوبية لتونس ما بين 1556-1558م، بل وصل الأمر بأن طرابلس الغرب بقيادة درغوث ريس باتت تهدد السواحل الأوروبية على ضفة البحر الأبيض المتوسط، مما دفع بها إلى تناسي خلافاتها والتوحد فيما بينها من أجل الدفاع عن سواحلها من خطر العثمانيين، والقيام بحملة عسكرية مشتركة بقيادة "جون اندري دوريا" ضد طرابلس الغرب 1560م، إنطلاقاً من جزيرة مالطة باتجاه جزيرة جربة التي احتلوها وجعلوها قاعدة عسكرية لمواصلة الحملة على طرابلس الغرب، إلا أن الحكمة العسكرية لدرغوث ريس في خوض المعارك إلى جانب العثمانيين أفضلت الحملة العسكرية الأوروبية، وكبدهم خسائر فادحة في الأرواح والسفن بجزيرة جربة، حيث حزن لها المسيحيون في كامل أوروبا، وعلى إثر هذا الانتصار استمر درغوث ريس في تقوية الأسطول العثماني بطرابلس الغرب ومهاجمة مختلف الحاميات الإسبانية المتواجدة على السواحل الجنوبية للصقلية.<sup>(20)</sup>

من المعلوم تاريخياً أن البحرية الطرابلسية العثمانية بقيادة درغوث رايس، كانت لا تقوم بأية حملة عسكرية إلا بدراسة تامة بكل المعطيات، وتخطيط عسكري مسبق، وهذا ما جعلها تحقق العديد من الانتصارات، إلا أن حماس الزائد للسلطان العثماني في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط والقضاء على الخطر الأوروبي الصليبي كان يَغشي بصيرته في التخطيط العسكري المحكم لكسب المعارك دون خسائر، وهذا ما كان يفعله درغوث رايس، حين يرى أي خطر محقق بالعثمانيين في البحر الأبيض المتوسط كان يخبر السلطان العثماني ويُدِّي رأيه العسكري، وكانت استجابة السلطان العثماني لآراء ومقترحات درغوث رايس أحياناً لا تلقى القبول وتقابل بعدم الإصغاء، وهذا ما تجلّى في الحملة العثمانية على مالطة سنة 1565م، حيث عارض درغوث رايس الحملة على مالطة آنذاك، نظراً لوجود خطر أوروبي صليبي في السواحل المغربية أولى بتحريره من الحملة على مالطة، لكن "حكم أمر السلطان على المأمور"، أرغم درغوث رايس على الاستجابة للمشاركة مع الأسطول العثماني في الحملة على مالطة بثلاثة وعشرين سفينة على متنها ألف وثلاثمئة جندي، وعشر غيلوطات على متنها ثمانمئة جندي<sup>(21)</sup>، غير أن هذه الحملة العثمانية فشلت ولم يكتب لها النجاح، وفيها استشهد درغوث رايس بعدما أصابته شظية في رأسه نُقل على إثرها شهيداً إلى طرابلس الغرب، أين اقيمت له مراسم جنازة مهيبة تليق بمقام قائد عسكري كبير خدم الإسلام والدولة العثمانية.<sup>(22)</sup>

**3- دور طرابلس الغرب السياسي في تعزيز النفوذ العثماني بالبحر المتوسط:** على الرغم من أن المظاهر العسكرية هي التي طغت على ساحة الصراع العثماني الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط، إلا أن أول مظهر سياسي لطرابلس الغرب في البحر المتوسط، يتجلّى في الوساطة الفرنسية عن طريق سفيرها "دارا مونت" لدى السلطان العثماني طالبا منه إعطاء الأمان لفرسان القديس يوحنا بعد استسلامهم وخروجهم من المدينة<sup>(23)</sup>، هذا بالإضافة إلى أن

التحالف الفرنسي العثماني الذي عقد سنة 1536م بين ملك فرنسا فرانسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني، ألقى بظلاله على طرابلس الغرب في عهد درغوث رايس، من حيث التعامل مع السفن الفرنسية في البحر الأبيض المتوسط، إذ أتاح هذا التحالف إلى إيجاد صيغة للتفاهم بين الطرفين من أجل حرية الملاحة التجارية في ميناء طرابلس الغرب، وحصول ضمانات تكفل بعدم التعرض للسفن الفرنسية، والدليل على ذلك قبول الوساطة الفرنسية في عدم التعرض لفرسان القديس يوحنا بعد تحرير مدينة طرابلس الغرب من الإسبان سنة 1551م، هذا بالإضافة إلى تحرير الأسرى المسلمين من الإسبان بقلعة بشتيا بكورسيكا بمعية القوات الفرنسية سنة 1553م، وهذا في يدخل ضمن اتفاق التحالف السياسي بين فرنسا والدولة العثمانية ضد إسبانيا.<sup>(24)</sup>

غير أن هذا التفاهم سرعان من انطفأ ضوءه وهدوؤه سنة 1559م بعد التحالف الأوروبي ضد طرابلس الغرب للتخلص من درغوث رايس، وأعتقد أنه لو بقي درغوث رايس حياً ولم يستشهد في الحملة العثمانية على مالطة سنة 1565م، لعمل على تقوية النفوذ السياسي للعثمانيين من خلال بناء علاقات سياسية تضمن الهدوء والاستقرار في البحر الأبيض المتوسط، ورغم ذلك استطاعت طرابلس الغرب أن تؤسس لعلاقات سياسية مع الدول الأوروبية مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، تجلت في عقد معاهدات صداقة بتعزيز التمثيل الدبلوماسي من خلال تبادل القناصل بين الطرفين، حيث نتج عن هذه المعاهدة توقف نشاط البحرية الطرابلسية لفترة من الزمن، وتحرير الأسرى المسيحيين وعدم بيعهم في أسواق طرابلس كعبيد.<sup>(25)</sup>

## خاتمة:

لقد كان لطرابلس الغرب في عهد درغوٲ رايس دورا كبيرا في تقوية الأسطول العسكري العثماني، وتعزيز نفوذ العثمانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال تحرير العديد من المدن الساحلية في المغرب العربي، وكذا السيطرة على أجزاء من بعض سواحل أوروبا الغربية، وقد شهد العديد من المؤرخين بأن درغوٲ رايس وبحنكته السياسية وخبرته العسكرية البحرية جعل من طرابلس الغرب مدينة يُحسب لها ألف حساب من طرف الأوروبيين المسيحيين، وحتى من طرف الليبيين أنفسهم المخالفين لسياسته الداخلية، واستطاع أيضا أن يكتسب احترامًا كبيرًا من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني، والولاة العثمانيين آنذاك، أمثال علي علج باشا حاكم الاسكندرية، وحسن باشا حاكم الجزائر، وبياله باشا قائد الحملة على مالطا.

هذا وتجدر الإشارة وبطرح سؤال معاكس في حالة عدم استطاعة العثمانيين تحرير طرابلس الغرب من السيطرة الاسبانية؟ لاستفرد الأوروبيون بسواحل المغرب العربي، وسيطروا على الملاحة التجارية في البحر الأبيض المتوسط، وأغلقوا منافذ التجارة الإسلامية بيمناء طرابلس الغرب مع إفريقيا وبلاد السودان، ولما كانت هناك معاهدات صداقة بين الأوروبيين والطرابلسيين، خاصة في ظل التحالفات الأوروبية المشتركة ضد المسلمين في إطار الصراع الحضاري بين الاسلام والمسيحية.

## هوامش الدراسة

- (1) عبد الجليل التميمي، «أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول سنة 1519م»، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع6، 1979، ص ص: 116-120

- (2) محمد بن خليل غلبون الطرابلسي أبي عبدالله، تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار، تعليق وتصحيح: أحمد الزاوي الطرابلسي الطاهر، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/، ص 93.
- (3) حسين مسعود ابو مدينة، جغرافية ميناء طرابلس الغرب، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة، ط1، 2005، ص130
- (4) شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977، ص129
- (5) شوقي عطالله الجمل، المرجع نفسه، ص130
- (6) محمد بن خليل غلبون الطرابلسي أبي عبدالله، المصدر السابق، ص93.
- (7) جون رايت، تاريخ ليبيا منذ اقدم العصور، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، احمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1993، ص ص: 92
- (8) جون رايت، المرجع السابق، ص94
- (9) احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، ط2، ص184
- (10) ايتوري روسي، طرابلس الغرب تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1969، ص ص 35-36
- (11) علي عامر محمود، خير فارس محمد، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبيا)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ج2، 2000، ص151
- (12) أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2011، ص63.
- (13) بروديل فرنان، البحر المتوسط، المجال والتاريخ، ترجمة: عمر بن سالم، منشورات وزارة الثقافة، تونس، 1990، ص125.
- (14) حسين مسعود ابو مدينة، المرجع السابق، ص93

- (15) احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي ، المصدر السابق، ص 130.
- (16) تجدر الإشارة إلى أن السلطان سليمان القانوني استجاب لمقترح درغوث رايس القاضي بطرد فرسان القديس يوحنا من جميع ممتلكاتهم في طرابلس الغرب، لأنهم يقفون عائقا في طريق سيطرته على البحر الأبيض المتوسط، كما تخوف من ان يقوموا بتكوين تحالف اوروبي باتجاه الشرق لاسترجاع منطقة رودس وجزر اليونان وسواحل فلسطين ومن هناك يتوجهوا برا نحو مصر، للمزيد ينظر: سمير عبد الرسول عبد الله العبيدي، **طرابلس الغرب اثناء احتلال الاسبان وفرسان القديس يوحنا 1510-1551م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بغداد، 2003، ص ص: 146-147
- (17) اتوري روسي، المصدر السابق، ص ص: 76-78
- (18) رابحة محمد خضير، «**دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م**»، مجلة أبحاث، كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، المجلد 6، العدد 2، ص 122
- (19) احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي، المصدر السابق، ص 209
- (20) عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص ص: 84-87
- (21) Charles feraud, **Les annales tripolitaines**, publier avec une introduction et des notes par augustin bernard, librairie tournier, tunis, librairie vurbert, paris, 1927, p75  
Ibid, pp165-166(22)
- (23) جون ولف.ب، **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، ترجمة وتعريب: ابو القاسم سعدالله، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 68
- (24) محمود السيد الدغيم، "تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الأول"، **مجلة الحضارة الاسلامية وعلم البحار**، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994، ص 398
- (25) حسين مسعود ابو مدينة، المرجع السابق، ص 95.
- قائمة المراجع المعتمدة:

- (1) احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، ط2
- (2) أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2011
- (3) ايتوري روسي، طرابلس الغرب تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، طرابلس، 1969
- (4) بروديل فرنان، البحر المتوسط، المجال والتاريخ، ترجمة: عمر بن سالم، منشورات وزارة الثقافة، تونس، 1990
- (5) جون رايت، تاريخ ليبيا منذ اقدم العصور، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، احمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1993
- (6) جون ولف.ب، الجزائر واوروپا 1500-1830، ترجمة وتعريب: ابو القاسم سعدالله، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- (7) حسين مسعود ابو مدين، جغرافية ميناء طرابلس الغرب، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة، ط1، 2005
- (8) رابحة محمد خضير، «دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م»، مجلة ابحاث، كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، المجلد6، العدد2
- (9) سمير عبد الرسول عبد الله العبيدي، طرابلس الغرب اثناء احتلال الاسبان وفرسان القديس يوحنا 1510-1551م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بغداد، 2003
- (10) شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977
- (11) عبد الجليل التميمي، «أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول سنة 1519م»، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع6، 1979

- (12) علي عامر محمود، خير فارس محمد، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبيا)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ج2، 2000.
- (13) محمد بن خليل غلبون الطرابلسي أبي عبدالله، تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار، تعليق وتصحيح: أحمد الزاوي الطرابلسي الطاهر، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/
- (14) محمود السيد الدغيم، "تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الأول"، مجلة الحضارة الاسلامية وعلم البحار، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994
- 15) Charles feraud, **Les annales tripolitaines**, publier avec une introduction et des notes par augustin bernard, librairie tournier, tunis, librairie vurbert, paris, 1927